اهتمام الرواد بالشعور الحر الذى يحقق نفسه فى تأمل الجمال . كانت البلاغة العربية شديدة الاهتمام بفكرة الخطأ ، وكان الباحثون يصرحون أن من الواجب التماس الوسائل التى يحترز بها من الوقوع فى براثن الخطأ والتعقيد والغموض والالتباس ، وكان الصواب فى رأيهم نمطا خاصا محفوفا بالصعاب . وتستطيع أن تتصور نظرة الرواد إلى هذا ، فمفهوم التجربة الحرة المستمرة قائم على التعاطف نافر من الاحتياط ، وكل ما أشع الولاء للذات قيم فى ذاته . ومن ثم اختفى من قاموس الرواد تلك الحساسية المتوارثة بين مايجوز وما لا يجوز . ويجب إذن ألا يتصور النظام بمعزل عن التجربة الفردية . لقد كانت العلاقة بين هذين الجانبين مشغلة بعض الرواد من الناحية النظرية والممارسة الأدبية على السواء .

وفى ظل هذه الآفاق وجدنا ملاحظات أخرى حول العلاقة بين الإنسان واللغة ، حول موقف المثقف الحديث من بعض مستويات العربية الموروثة . لقد كانت كلمة الوجدان الأثيرة تعنى أن الرواد مشغولون بعوائق الاغتراب . وكان الأستاذ أمين يتساءل تساؤلا مثيرا : هل يشعر العربى المعاصر شعورا واحدا بكل مستويات اللغة ؟ لاحظ هنا أن كلمة المستويات تعنى ضرورة اعتبار الفصحى لغات متميزة وليست لغة واحدة . كان الأستاذ أمين يقول فى (فن القول) هناك علاقة بين الكيان السياسى للشعب وإحساسه بلغته . وكان يرى أن تنقية الإحساس باللغة يعود فيثمر فى تنمية الكرامة القومية من بعض الوجوه . وكان يقول إن العربى المعاصر يقف من بعض اللغة ـ على الأقل ـ موقفا مزدوجا لا يريد أن يستوضحه . يبدى الاعتزاز باللغة ثم يرى قومه ليسوا حاكمين ولا مسيطرين فى المال والتجارة والصناعة والسياسة ، ومن ثم يقع فى حيرة تحتاج إلى التحليل والصبر ، لأن الموقف الذى يعانيه يمس وجوده الباطنى فى الصميم . لعل الأستاذ أمينا كان يقول فى عبارات لا تخلو من الحاجة إلى التأويل : يجب أن يعيد العربى على الدوام خلق لغته حتى لايقع فى الشعور بالأزمة أو الانفصال . يعاد خلق اللغة حين يعاد التفسير ، ويعاد خلق اللغة حين يراد النظر التاريخى إلى اللغة أيضا ، ويعاد خلق اللغة حين نكتب الشعر والقصة والمسرح ، لقد عدنا هنا إلى ذلك الإبداع المتميز من رضا المقام .

لقد تناول الأستاذ أمين فى خروجه على البلاغة آفاقا واسعة . وكان مولعا بكبريات الأمور عازفا أحيانا عن جزئيات المواقف المتغيرة . قال الأستاذ أمين : ليست البلاغة إلا نظام الخبرة باللغة العربية من وجهة نظر معاصرة . وفى الحياة المعاصرة للمثقف